أثر مؤلفات المغاربة على مؤلفات المشارقة كتاب السؤالات للعلامة السوفي أنموذجا

د. خالد بن محمد بن سالم العبدلي
أصول الدين– كلية العلوم الشرعية– سلطنة عمان
0096899233766
kalabdali@css.edu.om

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان التأثر والتأثير العلمي والمعرفي بين إباضية المغرب العربي وإباضية المشرق، والحركة العلمية بينهما، وحضور النَفَس والاجتهاد المغربي على مؤلفات المشارقة لا سيما عمان، مما يدل على التبادل الثقافي والعلمي بينهما، وذكر المشارقة لكتب المغاربة والأخذ بآرائهم أو الجنوح وترجيح بعض الأقوال التي مالوا إليها ، وهذا كله يدل على الحراك والتزاوج العلمي، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي لكتب المشارقة والمنهج التحليلي والمنهج المقارن لإبراز مدى التأثر بها، وجعل الباحث بحثه على ثلاثة محاور الأول تعريف بالعلامة السوفي ، والثاني عن كتاب السؤالات، والثالث نماذج من تأثر كتب المشارقة بالكتاب، ومن النتائج التي توصل لها الباحث وجود نقولات واضحة عن الكتاب مما يدل على التبادل المعرفي بين المشرق والمغرب.

الكلمات المفتاحية: المغاربة، المشارقة، الحراك المعرفي، الدور الحضاري، السوفي، السؤالات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رب المشرقين ورب المغربين، سبحانه وتعالى عظمت منته، وسبغت نعمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وصفوة الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد كان التواصل بين علماء المشرق والمغرب من العصور الأولى، والتبادل المعرفي والثقافي شهدته الأزمنة المتقدمة، والرعيل الأول لهم قدم السبق في التعاون والتلاحم العلمي، كيف لا ومن أعظم ما سطره التاريخ لنا وجود كوكبة من حملة العلم خرجوا من المغرب العربي قاصدين نحو الشرق، ميممين شطر العلم، متجهين للاغتراف من المعين الصافي، راحلين تاركين الوطن والأهل إلى شاسع البلدان؛ لأجل النهل من الأخذ ممن يثقون في علمهم ودينهم، وحملة العلم المغاربة، أو من جاء معهم من طلبة الإمام الكبير أبي عبيدة مسلم بن

أبي كريمة كُورِين –رحمه الله– خير دليل على بداية هذا التواصل الذي –والحمدلله– لم ينقطع إلى يومنا هذا، وتعاقبت الأجيال وهم يتبادلون العلم والمعرفة والتواصل، سواء كان طلبة العلم من المغرب متجهين إلى المشرق، أو من المشرق متوجهين إلى المغرب، زرافات ووحدانا، أو كان عن طريق الزيارات المتبادلة أو اللقاءات المتكررة المنسقة أو العرضية، فالمنسقة تكون في الأغلب في أرض الحرمين لاسيما في منى أيام الحج، وأما العرضية ففي العمرة أو في مكان آخر من غير تنسيق ولا مواعدة، وقد كون هذا التبادل بالرسائل وإرسال الكتب أو بعث الأسئلة والاستفتاء من كلا الجانبين، فهناك مسائل تبعث من الجبل أو جربة أو ميزاب إلى عمان أو من عمان إلى علماء الجبل وزوارة أو جربة أو ميزاب، وهذا غير خاف على من سبر تاريخ الإباضية، وتفقد سِيَرهم، ونظر في مؤلفاتهم.

ومن هذا المنطلق اخترت أن يكون بحثي في إظهار هذا الجانب من الدور الحضاري والعلمي بين المشرق والمغرب.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في بيان مدى العلاقة بين علماء المشارقة والمغاربة، وما حقيقة تواصلهم ووسائل الاتصال بينهم، والترابط الوثيق وقوة الانتماء العميق بين الطرفين، وكتاب السؤالات للعلامة السوفي خير مثال لمثل هذا التواصل المعرفي، وعليه تبرز هذه الأسئلة:

1–من العلامة السوفي، وما علاقته بجبل نفوسة؟

2–ما قيمة كتاب السؤالات، وما مزاياه؟

3–ما أثر كتاب السؤالات على الكتب العمانية في المشرق؟

أهداف البحث:

من خلال هذا البحث سيكون إجابة عما مضى من أسئلة فهو:

1–يُعرِّف بالعلامة السوفي، ويبين مدى اتصاله وعلاقته بجبل نفوسة.

2–يظهر قيمة كتاب السؤالات، ومنزلته العلمية، وما فيه من مزايا.

3–يبرز أثر كتاب السؤالات على كتب المشارقة العمانيين، ووجه الاستفادة منه.

منهج البحث:

–اعتمد الباحث على **المنهج الاستقرائي** بتتبع كتب إباضية المشرق في ذكرهم لكتاب السؤالات والنقل منه.

–كما استخدم الباحث **المنهج النقدي** بالنظر إلى تلك النصوص وكيفية الاستفادة من تلك النقولات التي تم التعامل معها.

-وكذا من المناهج التي استند إليها الباحث **المنهج المقارن** بين تلك النصوص المنقولة وطريقة الاعتماد عليها.

حدود البحث:

من خلال عنوان الورقة البحثية يظهر لنا أن الباحث اقتصر على كتاب السؤالات فقط وإلا فهناك كتب متعددة كان لها حظ وافر من التبادل الثقافي، ولا يعزب عن الذهن أن البحث معني باستفادة المشارقة خصوصا إباضية عمان من كتب المغاربة والذين هم أهل نفوسة وزوارة وجربة من تونس وميزاب من الجزائر.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات متقدمة تناولت مثل هذا الموضوع أو قريبا منه منها:

-**التّواصل الثّقافي بين عمان والجزائر**[1]، إعداد: الدّكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام، أشار الباحث إلى العناصر التالية: البدايات الأولى للتّواصل الثّقافي بين عمان والجزائر وفضل عمان على المغرب الإسلامي والدّعم المعنوي والمادي للدّولة الرّستميّة واللّقاءات والزّيارات والرّحلات المتبادلة وتبادل الكتب والتّعاون في التّأليف وتبادل الرّسائل، وحاول مشكورا ذكر ما حدث في القديم والحديث من هذا التواصل.

-**التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى**[2]، إعداد: ابن ادريسو مصطفى جامعة ادرار، وقد تعرض لذكر التواصل بين تلامذة الإمامين جابر بن زيد وأبي عبيدة ثم الاختلاف الواقع بين التلاميذ، والامتداد المعرفي عبر هذه الأجيال المتعاقبة، وأظهر الباحث مدى التشابه بين المتعارضين الإباضية مشرقا ومغربا.

-**الحضور المشرقي في فقه المغاربة قراءة في المنهج (شرح النيل أنموذجا)**[3]، إعداد: الدكتور محمد بن موسى باباعمي في إطار ملتقى الفقه الإباضي، وهذه ورقة عمل قدمت في ندوة تطور العلوم الفقهية بسلطنة عمان، ولا تعدو صفحات ذكر فيها الباحث مقاربة لمدى التأثر والتأثير في الحقول المعرفية بين المشرق والمغرب من الإباضية، وساق بعض النصوص من كتب المشارقة في شرح النيل.

ثم أخيرا وجدت ورقة بحثية في أعمال الملتقى الدولي الأول حول التواصل الضاري الجزائري العماني ففيه:

---

[1] بوحجام ، محمد بن قاسم ناصر (1423هـ/2003م)، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1.

2 ابن إدريس، مصطفى 1434هـ/2013م)، التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، المنهاج، العدد 2، ص53-93.

3 بابا عمي، محمد بن موسى(1426هـ/2005م)، الحضور المشرقي في فقه المغربة: قراءة في المنهج (شرح النيل أنموذجا)، ندوة تطور العلوم الفقهية التأليف الموسوعي والفقه المقارن، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، ص229-242.

-**التواصل بين عمان والجزائر خلال عصر الإمامة الإباضية الثانية**[4]، إعداد: الدكتور عبدالله بن سعود أمبو سعيدي، وتحدث في بحثه عموما عن التواصل في المجال الثقافي أو الفكري والمجال السياسي ثم ختمه بالمجال الاقتصادي، غير أن الدكتور محمد بو حجام سبقه في دراسته في بعض الجوانب.

أما ورقتي هذه فهي تختلف عما سبق من عدة وجوه:

1-أنها تتعلق بكتب المشارقة التي أخذت من كتب المغاربة خلافا لما سبق، فإن ما سبق ذكره تعرضوا لذكر كتب المغاربة التي أخذت من كتب المشارقة.

2-أظهرت هذه الورقة قيمة كتاب السؤالات خصوصا، ومدى تأثيره على كتب المشارقة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: نبذة عن العلامة السوفي:

المطلب الأول: التعريف بالسوفي

المطلب الثاني: حياة السوفي العلمية والعملية

المبحث الثاني: كتاب السؤالات:

المطلب الأول: وصف الكتاب

المطلب الثاني: قيمة الكتاب ومنزلته

المبحث الثالث: أثر كتاب السؤالات على كتب المشارقة

المطلب الأول: السؤالات في كتب المتقدمين من المشارقة

المطلب الثاني: السؤالات في كتب المتأخرين من المشارقة

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات ثم الفهرس

وأسأل الله القدير أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

4 أمبو سعيدي، عبدالله بن سعود(2019م)، التواصل بين عمان والجزائر خلال عصر الإمامة الإباضية الثانية (177هـ- 280هـ)، الجزائر وعمان أعمال الملتقى الدولي الأول حول التواصل الحضاري الجزائري العماني، المؤسسة الوطنية، الجزائر، ص87-139.

المبحث الأول

نبذة عن العلامة السوفي

المطلب الأول: التعريف بالسوفي

هو الشيخ العلامة الإمام البارع المتفنن أبو عمرو عثمان بن خليفة بن يوسف المارغني السوفي[5]، وهو أصولي متكلم من الأئمة البارزين المجتهدين، من بلاد سوف وهي مدينة تقع في الجنوب الشرقي من أرض الجزائر، ولد عام 435هـ[6]، تقريبا أي في القرن الخامس الهجري، وقد نشأ الشيخ –رحمه الله– في بلد سوف وترعرع هناك، وكل من ترجم للعلامة أبي عمرو لم يتعرض لحياته الأولى أو عن نشأته فالمصادر في ذلك شحيحة جدا، مع أن العلامة الوسياني صاحب السير عاصره والتقى به ولم يذكر عنه إلا شذرات من المواقف والأحوال والمسائل نقلا عنه أو يذكرها شاهدا أو لحضوره تلك المواقف والمشاهد، فحياته الأولى يكتنفها شيء من الغموض، والذي يظهر أنه تربى على يد أسرة صالحة، وفي كنف بيت علم، وعلى أحضان الصلاح والاستقامة فقد جاء في كتاب السير للوسياني نقلا عن العلامة السوفي في فصل التعازي على المرازي بذكر شيء من آداب أصحابنا عند تعزيتهم بعضهم لبعض فقال: "وعزاني أبو وكيل عن والدي وقال لي: الزم طريقة والدك، وأحي مكارمه، وكن كما يقول عمرو بن كلثوم:

ورثنا المجد عن آباء صدق ونورثه إذا متنا بنينا"[7]

ومن هذا النص العزيز عن أسرة السوفي يتبين أنها أسرة ذي دين واستقامة وخير وصلاح، وعلم ومعرفة، فلا غرابة إذن في قولنا أسرة علم وقد وصى أبو وكيل أبا عمرو ملازمة طريقة أبيه.

المطلب الثاني: حياة السوفي العلمية والعملية

يبدو أن العلامة السوفي –رحمه الله– تلقى مبادئ العلم من بيته ومن شيوخ قريته ثم انتقل إلى وراجلان[8]؛ لأنها العاصمة العلمية في ذلك العصر، وقد درس على يد مجموعة من أهل العلم ثم انضم بعد ذلك إلى حلقة العلمة الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي –رحمه الله– وقد كانت مدرسة أبي الربيع مدرسة مشهورة لها الصدارة وقد اشتهر أمرها، وممن تتلمذ عليهم وأخذ العلم عنهم : أبو الربيع سليمان بن يخلف

5 ينظر: محمد صالح ناصر وآخرون(1421هـ/2000م)، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج2، ص287.

6 ينظر هامش: السوفي، عثمان بن خليفة(1442هـ/2021م)، كتاب السؤالات، تحقيق: خضير بن عيسى فخار، مؤسسة منارة الإيمان، الجزائر، ط1، ج1، ص58.

7 الوسياني، سليمان بن عبد السلام (1430هـ/2009م)، سير الوسياني، تحقيق: عمر بن لقمان، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، ج2، ص677.

8 محمد صالح، معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، ج2، ص287.

المزاتي(ت:471هـ/1078م)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي(ت: 506 هـ/1110م)[9]، وآخرون، وقد أكثر من الرحلات للتزود من العلم فهو ينتقل بين وارجلان وبلاد الجريد وطرابلس، وكأن العلامة السوفي يتتبع نسب الدين ويحاول أن يأخذ ممن يثق بدينه لذا فقد أشار إلى أهل العلم الموثوقين، ومن أخذ هؤلاء عنهم، فقد ورد نص عنه ساقه الوسياني فقال:" ذكر الشيخ أبو عمرو الشيوخ السبعة المتعلمين عند شيوخ زمانهم كلهم من جبل نفوسة إلى وراجلان –رحمهم الله– الشيخ يخلفتن الزنزفي وحمو بن المعز النفوسي، وإسماعيل بن أبي العباس بن أبي عبدالله النفوسي ...إلى أن قال: وهم علماء فقهاء صالحو زمانهم"[10]، وهذا النص الفريد له من المعاني ما ينبغي أن نستلهم منه الكثير من الفوائد من أهمها وجود علماء من جبل نفوسة كان لهم الدور البارز في تشكيل فكر السوفي مباشرة أو بوساطة من أخذ عنهم.

وقد نبغ الشيخ السوفي على أقرانه وأترابه من صغره فقد وجدت نصا يدل على نبوغه وهو حدث صغير فقد جاء في كتاب المعلقات: "وسأل محمد بن بيدير الشيوخ سنة الزيارة بجبل نفوسة وكانوا قد اجتمعوا بشيوخ جربة وطرابلس فسألهم هل يجوز على الله ميان وميون فلم يفهموا الجواب، وكان من وراء المجلس عثمان بن خليفة السوفي وهو إذ ذاك تلميذ حدث فقال لا يجوز عليه ذلك يا شيخ"[11]، وهذه الحادثة أيضا تدل على أن العلامة السوفي كان يتعلم في جبل نفوسة، فهو آنذاك كان تلميذا.

وقد تتلمذ على يديه جماعة من العلماء وتخرجوا من مدرسته وحلقاته، فمنهم: أبو الربيع سليمان بن عبدالسلام الوسياني، والمعز بن جناو، وأبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي[12]، وآخرون، وخير دليل على ذلك كتاب السؤالات الذي هو نتاج تلك المسائل التي طرحها عليه تلامذته، ودونوها وجمعوها.

وأما عن مكانته العلمية ومنزلته فهو قامة من القامات، وطود أشم على الهامات، فقد ذكره غير واحد من أهل العلم، قال عنه الدرجيني:"ومنهم أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي –رحمه الله– هو في أهل المذهب أحد الأعلام، الكاشف بحسن بيانه، ونور منطق لسانه دياجي الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المجاحش المدافع عن كلمة الإسلام..."[13]، وقال الشماخي واصفا إياه: "ومنهم الإمام أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي –رحمه الله– كان إماما في العلوم لا سيما الكلام...، له أخبار كثيرة حسان، وله من التأليف

99 المرجع السابق.

10 الوسياني، سير الوسياني، مرجع سابق، ج1، ص344.

11 مجهول (1430هـ/2009م)، كتاب المعلقات، تحقيق: سليمان بابزيز، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، ص284.

12 محمد صالح، معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، ج2، 288.

13 الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة – الجزائر د.ت ج2، ص483.

كتاب السؤالات، وهو تأليف مفيد أظهر فيه منزلته من العلم"[14]، وقال عنه الشيخ علي يحيى معمر: "فكان أبو عمرو من أولئك العلماء الذين يكافحون بكل ما أتوه من قوة في سبيل الله، كان لا ينفك عن محاربة الجهل والبدعة والانحراف حينا بالموعظة الحسنة، وحينا بالنقد اللاذع والتوبيخ الصارم والوعظ الزاجر، وكان لا ينفك يدعو إلى التمسك بدين الله، مبينا للناس ما كان عليه رسول الله صلى الله عليو وسلم"[15].

أما حياته العملية فقد كان له الفضل في إعادة أهل الحامة إلى المذهب بعد أن انسلخوا منه وتولوا، وذلك بمنهجه القوي عن طريق الحوار والإقناع[16]، وقد عاصر كوكبة من أهل العلم الذين كانوا ضياء للناس بأعمالهم وجهدهم وهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت:570هـ/1174م)، وأبو عمار عبد الكافي(ت:570هـ/1174م)[17]، ومن نتاجه وعمله "رسالة في الفرق"، وكتاب السؤالات، وقد أقام حلقات علمية انضم فيها كثير من الطلبة.

المبحث الثاني:

كتاب السؤالات

المطلب الأول: وصف الكتاب

كتاب السؤالات من الكتب القيمة التي جمعت بين فنون متعددة مع أنه موضوع في علم الكلام والتوحيد، فقد تعرض الشيخ لشتى الفنون والمعارف، يعرف من طالع وقرأ الكتاب، فالذي يقرأ هذا الكتاب يشعر أنه ينتقل بين رياض العلم من التفسير إلى الحديث، ومن التاريخ إلى اللغة، ومن الفقه وأصوله إلى الأدب، ومن الحِكم إلى المواعظ، ونحو هذا مع أن الأصل في موضوعه العقيدة والتوحيد وعلم الكلام، وهو من أوسع الكتب الكلامية في التراث الإباضي، والذي يبدو أن تلامذة الشيخ هم الذين جمعوه ورتبوه بهذا الترتيب، يؤكد هذا ما قاله العلامة أبو العباس أحمد الشماخي:" ...ومنهم أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي وكفاك به علما وشهرة أنه الذي ألف كتاب السؤالات التي رويت عن أبي عمرو.."[18]، وكذا يظهر أن التسمية من قِبلهم، فقد كانوا يسألونه ويكتبون ويسجلون في كراريسهم، ويرصدون أقواله، وخلاصة القول أن كتاب السؤالات بمثابة الأمالي

14 الشماخي، أحمد بن سعيد(1412هـ/1992م)، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، د.ت، ج2، ص103.

15 معمر، علي يحيى(1429هـ/2008م)، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر، مكتبة الضامري/ سلطنة عمان، ط3، ص168.

16 محمد صالح، معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، ج2، ص288.

17 المرجع السابق، ج2، ص287.

18 الشماخي، السير، مرجع سابق، ج2، ص169.

والطلاب يكتبون ويدونون كل شاردة وواردة، وأغلب الكتاب بصيغة السؤال والجواب، أو بالأسئلة الافتراضية كقول إن قال قائل، أو إن قال ..فقل ..وهكذا.

وقد انتشر الكتاب واشتهر بين المغاربة أنه للعلامة السوفي –رحمه الله–، وكذا عند المتأخرين من إباضية المشارقة، وقد ذكره أو استشهد به أو نقل عنه جماعة كبيرة من أهل العلم ناسبين إليه هذا الكتاب، فمن ذلك العلامة الشماخي، فقد قال: "وله من التأليف كتاب السؤالات"[19]، ونور الدين السالمي قال:" وكتاب السؤالات لأبي عثمان، وعليه لبعض المتأخرين حواش"[20]، والظهر يقصد أبا عمرو عثمان، وليس لأبي عثمان، وقال عنه الدكتور عمرو خليفة النامي: "وأهم عمل فقهي[21] له هو كتاب السؤالات"[22]، ونجد أن صاحب حاشية الترتيب أبا ستة وقطب الأئمة –رحمها الله– على كثرة ذكرهما لكتاب السؤالات والاستشهاد به يذكرانه عاريا عن النسبة بعبارات مختلفة فمرة يقولان مثلا (قال صاحب السؤالات)، ومرة (وفي السؤالات)، (وعبارة السؤالات) ونحو هذه الألفاظ، إلا ما وجدته في كتاب كشف الكرب للقطب عندما قال:" ونسبه صاحب السؤالات أبو عمرو عثمان بن خليفة إلى النكار"[23]، وهذا كاف لنسبته إليه في باقي كتبه.

المطلب الثاني: قيمة الكتب ومنزلته

كتاب السؤالات من أقوى الكتب الكلامية عند الإباضية، ومن أروع المؤلفات التي صنفت في هذا الباب، وقد استفاد منه خلق كثير، ويكفي أن أهل العلم كثيرا ما يستشهدون به، ويحيلون إليه ويعدونه من أُولى المصادر والمراجع في موضوع علم الكلام والعقيدة، وقد امتدحه وأثنى عليه غير واحد من أهل العلم، وأطروه أيما إطراء، قال الشماخي: "وله من التأليف كتاب السؤالات، وهو تأليف مفيد أظهر فيه منزلته من العلم"[24]، وقال الدكتور عمرو النامي: "وكتاب السؤالات عمل كلامي كبير، وهو خليط من تفسيرات أدبية لتعابير كلامية على أساس القرآن والحديث والشعر العربي القديم، وهو عمل غني بالمعطيات حول اللغة العربية بالإضافة إلى الآراء والعبارات الكلامية التي تستعمل في أوساط العلماء والطلاب الإباضيين"[25].

19 المرجع السابق، ج2، ص103.

20 السالمي، عبدالله بن حميد(1981م)، اللمعة المرضية من أشعة الاباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت، ص27.

21 محقق كتاب السؤالات استبدالها ب كلامي، ينظر: السوفي، كتاب السؤالات، ج1، ص 246.

22 النامي، عمرو خليفة(2012م)، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، علق عليه: محمد صالح ومصطفى باجو، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص227.

23 أطفيش، محمد بن يوسف(1405هـ/1985م)، كشف الكرب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت، ج1، ص55.

24 الشماخي، السير، مرجع سابق، ج2، ص103.

25 النامي، دراسات عن الإباضية، مرجع سابق، ص227.

وقال الشيخ فرحات الجعبيري عنه:" أما كتاب السؤالات فقد أجاب صاحبه عن خمسة وتسعين سؤالا[26] في جميع مسائل الأصول، وهو ثروة فكرية عملية تُمكِّن الإباضية من الاستعداد للإجابة عن أية قضية من القضايا التي كانت تطرح في حلقات المناظرات في ذلكم المحيط الذي تتعايش فيه جميع الفرق دون أن تجد أية مضايقة، فواضح إذن تعايش التراث الإباضي مع سائر التراث الإسلامي خاصة ومع التراث العالمي تعايشا قويا بناء مستقلا برأيه، معتدا بذلك الرأي"[27]، وقد امتدت خيرات وفوائد هذا الكتاب إلى المشرق كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

المبحث الثالث:

أثر كتاب السؤالات على كتب المشارقة

المطلب الأول: السؤالات في كتب المتقدمين من المشارقة

من المعلوم أن التواصل المعرفي والتبادل الثقافي بين المشارقة والمغاربة غير مستنكر ولا غريب، وقد وجدنا مجموعة من كتب المشارقة المتقدمة ذكرت بعض كتب المغاربة، والنقل والاستفادة منها، أو شرح بعض المنظومات، ونحو ذلك، وممن ذكر بعض المسائل عن علماء أصحابنا المغاربة صاحبُ بيان الشرع ذكر مسائل عدة[28]، وصاحب الضياء ذكر ذلك أيضا وهناك من نقل من بعض الكتب من غير الإفصاح عن الكتاب أو المؤلف، كما أنه يتداولون الفتاوى والمسائل ويناقشونها، فقد جاء في العقد الثمين للإمام السالمي هذا السؤال:"س– ما وجه ما عليه أصحابنا من أهل الجبل –رحمهم الله– أن العبد مجبول ومطبوع على فعل ما علم الله فعله منه قبل أن يخلقه...إلخ" [29]، والنص من المتأخرين، وسقته لبيان أن مؤلفات المغاربة وصلت عند المشارقة، وكانوا يسألون عن وجه أقوال أصحابنا من أهل الجبل، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الشيخ الشقصي صاحب كتاب منهج الطالبين ذكر كتاب السؤالات في معرض ذكر أثر كتاب السؤالات على من بعده فقال: "ب– الشيخ خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي(11هـ/17م)، صاحب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، وقد نقل من السؤالات فقرات لكن دون أن ينوه باسم المؤلف إلا نادرا"[30]، ولكن بتتبعي للمواضع التي أشار إليها لم أجد ذلك، فلعله تصور وظن أنه نقل منه، وليس الأمر كذلك، فتلك المواضع التي أشار

26 في المطبوع ستة وتسعين سؤالا.

27 الجعبيري، فرحات(1989م)، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مطبعة الألوان الحديثة، سلطنة عمان د.ت، ص121.

28ينظر مثلا: الكندي، محمد بن إبراهيم (1405هـ / 1985)، بيان الشرع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت، ج3، ص85.

29 السالمي، عبدالله بن حميد(1413هـ/1993م)، العقد الثمين، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، ج1، ص134.

30 السوفي، كتاب السؤالات، مرجع سابق، ج1، ص255. كلام محقق الكتاب.

إليها أقرب إلى كتب المشارقة، خاصة من بيان الشرع، وجامع أبي الحسن البسيوي، ومن الضياء.

المطلب الثاني: السؤالات في كتب المتأخرين من المشارقة

كتاب السؤالات كان له حضور في كتب المشارقة المتأخرة، وقد ورد ذكره بعدة وجوه، قد يأتي صريحا فينقل عنه، وقد يكون بواسطة من كتاب آخر، وقد يُنسب إلى كتاب السؤالات من غير نقل لعبارته، فممن ذكره صاحب قاموس الشريعة في أكثر من سبعة عشر موضعا منها:

1-" فصل: ومن كتاب لبعض أهل المغرب: وأما العقل فقد اختلفوا فيه؛ قال بعضهم: هو قوة وبصيرة في القلب، منزلته (ع: منزلة) البصر من العين، وهذا قول جمهور أصحابنا فيما ذكر **في كتاب السؤالات**"[31].

2-" وفي **كتاب السؤالات**: فإنما يخرج الروح من البدن رب العالمين، ويتلقاها ملك الموت فيقبضها، وقال: إنّ من قال: يخرجه ملك الموت؛ فقد أشرك"[32].

3- "ومن **كتاب السّؤالات**: فإن قال: لم أعرف محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فقد أشرك. فإن قال: ليس علَيّ مِن معرفته شيءٌ؛ فقد كفر ونافق؛ وهو قول أحمد بن الحسين؛ وعلينا أن نعلم أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم آدميّ؛ وأمّا أن نعلم أنّه عربي، وأنه ابن عبد الله قرشي؛ فلا"[33].

4- "مسألة: وقال في **كتاب السّؤالات**: يجوز أن أشكّ أنّهم يتناسلون بلحم ودم؟، ونشكّ لعلّ خلقتهم واحدا بعد واحد، وموتهم واحدا بعد واحد؟ ونشكّ لعلّ فيهم النّساء والصّبيان والمجانين؟ وأمّا من شكّ أنهم كلهم نساء وأطفال أو مجانين؛ فقد أشرك، والله أعلم بهذا"[34].

وغيرها كثير، وقد قصدت انتقاء هذه النصوص والمواضع لما تحمل من دلالات عدة يأتي بيانها إن شاء بعد الوقوف على النصوص القادمة.

وأما الشيخ السالمي -رحمه الله- فقد ذكره في:

1-شرح الجامع فقال:" وقالوا: لا يبلى عجب الذنب ولا يأكله التراب، وعليه أحمد بن الحسين الطرابلسي، وَهُوَ من الإِبَاضِيَّة، لكنَّه خالفهم في مسائل أخرجوه بها من وَلايتهم، ورَدَّ عليه السؤالات رحمه الله قال: "لأنَّا مجتمعون على أنَّه خلقهم وأبدأهم لا من شيء، والإعادة مثلها، وقال عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ الذِي يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ, وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27] وقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف: 29] وقال: {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ} [الأنبياء:

31 السعدي، جميّل بن خميس(1436هـ/2015م)، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ط1، ج3، ص436-437.

32 المرجع السابق، ج3، ص441.

33 المرجع السابق، ج6، 157-158.

34 المرجع السابق، ج6، ص420.

104]"، قال: "وَهُوَ قول ابن عبَّاس وأهل العدل والصواب رحمة الله عليهم".[35] وفي موضع آخر نقلا عن حاشية الترتيب[36].

2-وفي معارج الآمال قال: "ونقل أبو ستة عن السؤالات الْخِلاَف فيمَنْ ارتدَّ زلّة عن دينه ثُمَّ رجع سريعا إليه"[37].

3-وفي مشارق الأنوار قال:" ذهب إلى الثاني ابن بركة وصاحب السؤالات والإمام أفلح والمحقق الخليلي"[38].

ومنهم الشيخ أبو مسلم في نثار الجوهر: "وفي الوضع والسؤالات أنها مترادفة"[39]، يعني الدين والإسلام والإيمان.

وأما من جاء بعدهم فيظهر أنهم نقلوا الكلام من الشيخ السالمي -رحمه الله- كمثل صاحب إيضاح التوحيد[40]، والعرى الوثيقة[41]، وكذا سماحة الشيخ أحمد الخليلي في فتاواه[42].

ويبدو لي من هذه النقولات والنصوص ما يلي:

1-أغلبها بواسطة كتب المتأخرين من كتب المغاربة كصاحب حاشية الترتيب أو قطب الأئمة، لا سيما لم يرصد في مكتبة الشيخ السالمي كتاب السؤالات.

2-بعض النقولات في قاموس الشريعة ينبئ عن النقل المباشر من كتاب السؤالات، وإن كنت أستبعد وصوله وأكثر الظن أنه ينقل عن بعض أصحابنا المغاربة خاصة أنه يقول في غير ما موضع، ومن كتاب لبعض أهل المغرب ويسوق كلاما طويلا فيه ذكر كتاب السؤالات ثم يختم النقل بقوله: "انقضى الذي نقلناه من كتاب أهل المغرب".

35 السالمي، عبدالله بن حميد(1993م)، شرح الجامع الصحيح، المطابع الذهبية، سلطنة عمان، د.ت.،ج3، 564.

36 المرجع السابق، ج1، ص213

37 السالمي، عبدالله بن حميد(2010م)، معارج الآمال على مدارج الكمال، تحقيق: سليمان بابزيز وآخرين، مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عمان، د.ت، ج5، ص462.

38 السالمي، عبدالله بن حميد(1444هـ/2023م)، مشارق أنوار العقول، تعليق: الشيخ أحمد الخليلي، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، ط1، ص747.

39 البهلاني، ناصر بن سالم(1421هـ/2001م)، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1، ج1، ص116.

40 ينظر: الغيثي، سعيد بن ناصر(1417هـ/1996م)، إيضاح التوحيد بنور التوحيد، تحقيق: محمد بابا عمي ومصطفى شريفي، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سلطنة عمان، ط1، ج2، ص767.

41 السيابي، سالم بن حمود، العرى الوثيقة شرح منظومة كشف الحقيقة، مرقون في المكتبة الشاملة الإباضية، ص446.

42 الخليلي، أحمد بن حمد(1434هـ/2013م)، فتاوى المعاملات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، د.ت، ج3، ص398.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في أفياء كتاب السؤالات، توصل البحث إلى الآتي:

-أن الإمام السوفي -رحمه الله- انتفع وتعلم من بعض علماء جبل نفوسة كما ان له جملة من التلامذة من أهل الجبل.

-أن كتاب السؤالات ذو أهمية بالغة وقيمة عالية في علم الكلام مع احتوائه لفنون ومعارف أخرى.

-كتاب السؤالات انتفع به خلق كثير من المشارقة والمغاربة وتناولوه بالبيان والشرح ووضع الحواشي عليه.

-احتوت كتب المشارقة المتأخرة بخلاف المتقدمين على جملة من النصوص والنقولات من كتاب السؤالات، وقد تكون بعضها مباشرة، والظاهر أن أغلبها بواسطة النقل من كتاب آخر.

التوصيات:

يوصي الباحثُ إلى ضرورة البحث والتنقيب في كتب المشارقة المتأثرة بكتب المغاربة كمثل كتاب معالم الدين للثميني.

كما يوصي الباحثين إلى النظر في كتب التراث الإباضي المغربي لا سيما كتب الروايات والسير لاستخراج الدرر والفوائد كما أخذ عنهم المشارقة.

المصادر والمراجع:

-ابن إدريس، مصطفى 1434هـ/2013م)، التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، المنهاج، العدد 2، ص53-93.

-أطفيش، محمد بن يوسف(1405هـ/1985م)، كشف الكرب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت.

أمبو سعيدي، عبدالله بن سعود(2019م)، التواصل بين عمان والجزائر خلال عصر الإمامة الإباضية الثانية (177هـ- 280هـ)، الجزائر وعمان أعمال الملتقى الدولي الأول حول التواصل الحضاري الجزائري العماني، المؤسسة الوطنية، الجزائر.

-بابا عمي، محمد بن موسى(1426هـ/2005م)، الحضور المشرقي في فقه المغربة:قراءة في المنهج(شرح النيل أنموذجا)، ندوة تطور العلوم الفقهية التأليف الموسوعي والفقه المقارن، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، ص229-242.

-البهلاني، ناصر بن سالم(1421هـ/2001م)، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1.

-بوحجام ، محمد بن قاسم ناصر (1423هـ/2003م)، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، مكتبة الضامري،

سلطنة عمان، ط1.

-الجعبيري، فرحات(1989م)، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مطبعة الألوان الحديثة، سلطنة عمان د.ت.

-الخليلي، أحمد بن حمد(1434هـ/2013م)، فتاوى المعاملات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، د.ت.

-الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق:إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة – الجزائر ،د.ت.

-السالمي، عبدالله بن حميد(1413هـ/1993م)، العقد الثمين، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1.

-السالمي، عبدالله بن حميد(1444هـ/2023م)، مشارق أنوار العقول، تعليق: الشيخ أحمد الخليلي، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، ط1.

-السالمي، عبدالله بن حميد(1981م)، اللمعة المرضية من أشعة الاباضية ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت.

-السالمي، عبدالله بن حميد(1993م)، شرح الجامع الصحيح، المطابع الذهبية، سلطنة عمان، د.ت.

-السالمي، عبدالله بن حميد(2010م)، معارج الآمال على مدارج الكمال، تحقيق: سليمان بابزيز وآخرين، مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عمان، د.ت.

-السعدي، جميّل بن خميس(1436هـ/2015م)، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ط1.

-السوفي، عثمان بن خليفة(1442هـ/2021م)، كتاب السؤالات، تحقيق: خضير بن عيسى فخار، مؤسسة منارة الإيمان، الجزائر، ط1.

-السيابي، سالم بن حمود، العرى الوثيقة شرح منظومة كشف الحقيقة، مرقون في المكتبة الشاملة الإباضية.

-الشماخي، أحمد بن سعيد(1412هـ/1992م)، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان،د.ت.

-الغيثي، سعيد بن ناصر(1417هـ/1996م)، إيضاح التوحيد بنور التوحيد، تحقيق:محمد بابا عمي ومصطفى شريفي، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سلطنة عمان، ط1.

-الكندي، محمد بن إبراهيم (1405هـ / 1985)، بيان الشرع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان د.ت.

-مجهول (1430هـ/2009م)، كتاب المعلقات، تحقيق: سليمان بابزيز، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1.

-محمد صالح ناصر وآخرون(1421هـ/2000م)، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.

-معمر، علي يحيى(1429هـ/2008م)، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر، مكتبة الضامري/ سلطنة عمان، ط3.

-النامي، عمرو خليفة(2012م)، دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، علق عليه: محمد صالح ومصطفى باجو، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1.

-الوسياني، سليمان بن عبد السلام (1430هـ/2009م)، سير الوسياني، تحقيق: عمر بن لقمان، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1.